العلم بالغيب في أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام

م.د. نورا حسين علي / قسم علوم القرآن / كلية التربية / الجامعة المستنصرية

Knowledge of the Unseen in the Hadiths of Imam al-Kadhim (peace be upon him)

Lecturer Dr. Noura Hussein Ali

Abstract:

The study attempts to discuss some of the hadiths narrated from Imam al-Kadhim (peace be upon him) that indicate his possession of knowledge of the unseen. Before reviewing these hadiths, some essential points are presented: a definition of knowledge of the unseen in language and terminology, then an explanation of the Islamic view of the prophets and imams (peace be upon them) possessing knowledge of the unseen. Afterwards, examples of these hadiths are reviewed to explain and analyze them, and to extract the most important values they express. Finally, the study presents a conclusion and the most prominent findings.

المستخلص:

يحاول البحث مناقشة عدد من الأحاديث الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام والتي أشارت إلى امتلاكه عليه السلام للعلم الغيبي وقبل استعراض تلك الأحاديث لابد من تقديم بعض الأمور الضرورية الممهدة للبحث وهي التعريف بالعلم الغيبي في اللغة والاصطلاح ، ثم بيان الرؤية الإسلامية لامتلاك الأنبياء والأئمة عليهم السلام للعلم الغيبي بعد ذلك استعراض نماذج من تلك الأحاديث لشرحها ، والخروج بأهم القيم التي عبرت عنها وبعد كل ذلك الانتهاء بتسجيل خاتمة البحث وأهم النتائج التي توصل إليها .

Article history
Received: 30 / 4 /2025
Accepted: 31 / 7 /2025
Published : 30 /9/2025

تواريخ البحث
تاريخ الاستلام: 30/ 4/ 2025
تاريخ القبول: 31/ 7/ 2025
تاريخ النشر :30/9/ 2025

الكلمات المفتاحية : العلم ، الغيب ، أحاديث ، الإمام ، الكاظم

Keywords : Knowledge, the unseen, hadiths, Imam, al-Kadhim

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author:
nora.hassein@uomustansiriyah.edu.iq

DOI:

https://doi.org/10.61710/8gwrg311

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أمّا بعدُ :

فإنّ من النافع الوقوف على أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام التي أشارت إلى امتلاكه العلم الغيبي ومحاولة شرحها ، ودراستها دراسة موضوعية للوقوف على أهم ما تضمنته من قيم أخلاقية ومعانٍ سامية ينتفع منها أبناء المجتمع .

وقد عمدنا إلى ذلك في بحثنا هذا إذ فصلنا القول في مجموعة من الأحاديث التي تضمنت هذا الموضوع ، ومن قبل ذلك شرعنا في بيان الرؤية الإسلامية لامتلاك العلم الغيبي وليستوى هذا البحث على سوقه كان لابد لنا أنْ نرسم له هيكلية تمكننا من تحقيق النتائج المرجوة منه

وقد اقتضت الخطة تقسيم البحث على النو الآتي : مقدمة ، و ثلاثة مطالب اشتمل المطلب الأول الحديث عن تعريف العلم بالغيب في اللغة والاصطلاح ،وجاء المطلب الثاني الثاني ليتكفل بالحديث عن العلم بالغيب في الثقافة الإسلامية ، أمّا المطلب الثالث فضم مجموعة من الأحاديث التي أشارت إلى علم الإمام الكاظم عليه السلام بالغيب وبعد تلك المطالب جاءت الخاتمة التي أشارت إلى خلاصة البحث وأبرز النتائج التي توصل إليها ، وبعد ذلك ثبت المصادر التي استقينا منها مادة البحث.

وقد عمدنا إلى تطبيق منهج الدراسة الموضوعية في شرح الأحاديث الواردة ابتداء من ذكر الحديث ، ثم بيان المصادر الوارد فيها ، مع بيان حكمه في حال ذكر له حكم ، وكشف معاني الألفاظ التي بها حاجة إلى تعريف ، بعد ذلك محاولة شرحه من كتب الحديث والمصادر الأخرى انتهاءً بذكر أبرز ما يستفاد منه .

آملين أنْ ينفع الله عزّ وجل بنا وما كتبنا والله من وراء القصد وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المطلب الأول : العلم بالغيب في اللغة والاصطلاح .

إنّ العنوان الذي وسم به هذا البحث مركب من أكثر من مصطلح إذ ضمّ بين جوانبه العلم والغيب اللذين نريد معرفة مضمونهما في أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام وحقيقتهما ، وفلسفتهما والأهداف المراد تحقيقها منهما ؛ لذا نجد من الضروري بمكان البدء بتعريف هذه المصطلحات الواردة في اللغة والاصطلاح لكي ينكشف معناها ، ويتضح للقارئ مدلولها .

وقبل الشروع ببيان المقصود من العلم بالغيب لابد من تعريف كل لفظة منهما منفردة

العلم لغة :

جاء في تعريف العلم في اللغة إنّه ((نقيض الجهل)) (ابن فارس ، 1979، صفحة 109/4).

العلم اصطلاحاً :

أمّا في الاصطلاح فيعرف بأنّه : ((إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان أحدهما إدراك ذات الشيء والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منفي عنه)) (الأصفهانى، 1992، صفحة 343)

وهنالك ترابط بين كلٍّ من المعنى اللغوي والاصطلاحي محوره المعرفة سواء أكانت تلك المعرفة بجوهر الأشياء أم بأحكام تتعلق بها سلباً أو إيجاباً .

وعلى وفق حاجتنا لبيان معنى العلم في عنوان بحثنا يتضح أنّ العلم هو المعرفة بالشيء على وجه اليقين .

هذا ما يخص تعريف العلم وللوصول إلى صورة متكاملة ؛ ولكي يتجلى معنى العنوان لابد من تعريف الجزء الآخر منه وهو الغيب .

الغيب لغةً :

ويعرف في اللغة بأنّه : ((كل ما غاب عنك كأنه مصدر بمعنى الفاعل ... والغيب أيضاً : ما غاب عن العيون وإنْ كان محصلاً في القلوب ، ويقال سمعتُ صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه)) (الزبيدي، 1994، صفحة 295/2)

وقيل إنّه ((ما غاب عن الحس والعقل تسميةً بالمصدر ، أو مخفف من غيب كهيْنٍ وهيِّن وما غاب وخفي عنك ولم تره . ومنه : سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه)) (الشيرازي، 1990، صفحة 366). وهو ((ما غاب عن الحاسة وعلم الانسان)) (الأصفهانى، 1992، صفحة 366)

الغيب اصطلاحاً :

المتطلع إلى الكتب التي ناقشت هذا الموضوع يجد أكثر من تعريف للغيب عند القدماء والمحدثين ويبدو أنّ ذلك جاء نتيجة لأهمية هذا الأمر ، وكثرة مناقشته والحديث عنه حتى عُرِّف بأكثر من تعريف ، منها :

هو ((الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ، ولا تقتضيه بديهة العقل .)) (الجرجاني، 1983، صفحة 185)

وهذا التعريف يشير إلى عموم لفظة الغيب من غير الدخول في تفاصيله فهو وارد على نحو العموم ونجده بحاجة إلى تفصيل وتفسير .

ومن التعريفات التي قيلت في الغيب : ((هو ما لم يقم عليه دليل ، ولم ينصب له أمارة ولم يتعلق به علم مخلوق ، وقيل الغيب هو : الخفي الذي لا يكون محسوساً ، ولا في قوة المحسوس كالمعلومات ببديهة العقل ، أو ضرورة الكشف)) (الأصفهانى، 1992، صفحة 667).

وما يقال في هذا التعريف أنّه نفى تعلق هذا العلم عن المخلوقات ومن البديهي أنْ ندرك أنّ الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام يندرجون تحت قائمة المخلوقات وكان لابد أنْ يشار إلى هذا الأمر ويكون واضحاً للقارئ .

ومن التعريفات الحديثة التي عالجت فكرة الغيب هو : ((كل ما غاب عن حس الإنسان سواء بقي سرًّا مكتومًا يعجز الإنسان عن إدراكه بحيث لا يعلمه إلا اللطيف الخبير، أو كان مما يعلمه الإنسان بالخبر اليقين عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يعلم الإنسان بعض الغيب بتحليله الفكري أو نحو ذلك من الوسائل)) (مؤلفو وزارة الأوقاف السعودية، صفحة 26)

وحقيقة الأمر أنّ الشطر الأول من هذا التعريف يقترب من واقع الفكرة ويلامسها ملامسة واقعية فهو يشير إلى أنّه مما لا يدركه الانسان ويختص بالله عزّ وجل أو يلقيها الباري على من يشاء وهذا هو واقع تعريف الغيب إلا أنّ فكرة أنّ الغيب ممكن أنْ يتحصل من التحليل الفكري أو ما يقترب منه فلا أظنه قريباً من الصواب فذلك يوصل إلى الحدس أو التخمين ولا يمكن أنْ نطلق عليه (الغيب) لأنّ العلم الغيبي يقيني أمّا التحليل الفكري فقد يوصل إلى الحقيقة وقد لا يحقق ذلك

المطلب الثاني : مضامين العلم بالغيبيات .

إنّ تفاوت العلم بين بني البشر ناتج عن اختلاف طبقاتهم وأدوارهم في الحياة الاجتماعية لذلك نجد الأنبياء والأئمة عليهم السلام يختلف علمهم عن عموم البشر . إذ ((أُعطي الانسان علمَ جميعِ ما يحتاج إليه لدينهِ ودُنياه ، وحُجب عنه ما سوى ذلك ليعرِفَ قدره ونقصه وكلا الأمرين فيها صلاحه)) (المفضل، 2016، الصفحات 81-82)

وإنّ علم الغيب مختص بالله عزّ وجلّ بحسب قوله تعالى { ***عالمُ الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصَدا*** } (سورة الجن : 26)

والنظر إلى المراجع الإسلامية في هذا الشأن يفضي إلى أنّ العلم بالغيب ينقسم على قسمين : المطلق الذي يكون مختصاً بالله عزّ وجلّ . والنسبي الذي يختص ببني البشر وتتفاوت درجته من شخص لآخر. (ابن حنبل ، 1979، صفحة 388/5)

وبحسب هذه المعادلة التي طرفاها الخالق والمخلوق يبدو أنّ الخالق يمتلك الغيب وعموم البشر لا يمتلكون العلم الغيبي لكنّ القدرة الإلهية قادرة على منح هذا الامتياز لمن يشاء عزّ اسمه فإنّ الله يطلع أنبياءه ورسله على ذلك الغيب .

وإنّ علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب لم يكن محل خلاف بين علماء المسلمين استناداً إلى اتصال النبوة بالوحي وهذا ما يخص الأنبياء عليهم السلام جميعاً فـــ((النبي لا بد أنْ يكون عالماً بكل ما تحتاج إليه الأمة)) (الجلالي، 1995، صفحة 10) . وهذا يتناسب مع الوظيفة المناطة به ، والدور الرسالي المكلف بأدائه ، وينسجم مع المشروع الإلهي الذي لأجله ترسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

إلا أنّ الخلاف قائم في امتلاكه للغيب المطلق أم النسبي ، وقد انقسم العلماء في ذلك على قسمين فريق جوز اطلاع النبي صلى الله عليه وآله على الغيب المطلق ، وفريق حدد هذا العلم ولم يطلقه . (نادم، 2017، الصفحات 76-77)

وكذلك وقع الخلاف في مسألة معرفة الأئمة عليهم السلام بالغيب إذا باتت هذه المسألة من القضايا الخلافية في المدارس الكلامية .

وللمتطلع أن يكتشف أنّ الأئمة عليهم السلام اعتمدوا طريقتين في مسألة التصريح بعلمهم بالغيب فإنهم ((تارة يصرحون بعلم الإمام بالغيب ، وتارة أخرى ـــ بالنظر إلى ما فشى بين المسلمين من الغلو ـــــ يضطرون إلى الكلام بنحو آخر كي لا يعطوا حجة لأهل الغلو)) (نادم، 2017، صفحة 75)

وفي حال تصريحهم بامتلاكهم هذا العلم يشيرون إلى أنّه مكتسب عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله فالإمام يعلم ما غاب عن الناس بتعليم من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أكد ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله : ((يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم)) (الشريف الرضي، 1994، صفحة 186)

وبذلك يكون علم الإمام متوقف على أمر الله عزّ وجل ومشيئته إذ إنّ الإمام يعلم ما غاب عن الناس إذا علمه الله تعالى وإذا منع ذلك فلا يعلم من دون الله تعالى ، إذ ورد عن : ((عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ: سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ فَقَالَ لَهُ أَتَعْلَمُونَ الْغَيْبَ- فَقَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يُبْسَطُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ وَ يُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ وَ قَالَ سِرُّ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَسَرَّهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ عليه السلام وَأَسَرَّهُ جَبْرَئِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَأَسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ اللَّه)) (الكليني، 1987، صفحة 256/1)

وفي هذا الحديث الوارد عن المعصوم عليه السلام إشارة واضحة إلى فكرة أنّ العلم الغيبي الذي يمتلكه الأئمة عليهم السلام متأتٍ من إرادة الله لذلك فيكون متاحاً متى ما شاء الله ذلك ويمتنع أيضاً في حال شاء الله منعه عنهم .

في حين جاء مصداق للاتجاه الآخر في التعامل مع هذا الموضوع وهو حصر العلم الغيبي بالله وتأكيد أنّ ما لديهم جاء وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث وارد عن الإمام الكاظم عليه السلام يشير إلى أنّ هذا العلم متأتٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ورد في الحديث : ((سأله يحيى بن عبد الله بن الحسن : جعلتُ فداك إنّهم يزعمون أنّك تعلم الغيب . فقال عليه السلام

: سبحان الله ضع يدك على رأسي فو الله ما بقيت شعرة فيه ولا في جسدي إلا قامت ثم قال : لا والله ما هي إلا وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله)) (المفيد، 1993، صفحة 23)

وبذلك يكون المعنى العام لهذا الأمر أنّ علم الغيب مختص بالله عزّ وجلّ ؛ لأنّ الله قدر ما يحتاج إليه بنو البشر من العلم ووهبهم بحسب مقدار تلك الحاجة وما دام الله عزّ وجلّ هو المالك لهذا العلم يهبه لمن يشاء من الأنبياء والرسل عليهم السلام لحاجة الوظيفة المناطة بهم لذلك العلم هذا ما يخص الأنبياء عليهم السلام أمّا الأئمة عليهم السلام فخلاصة من يؤمن بأنهم يعلمون الغيب أنّ هذا العلم يصل إليهم بأمر الله جل وعلا ويمتنع عنهم في حال إرادة الباري منعه فضلاً عن أنّه وراثة ورثوها عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فـــ ((إنّ الله أعطى للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام العلم الرباني (اللدني) ووهب لهم النورانية والمعرفة الكاملة لجميع فروع العلوم)) (نادم، 2017، صفحة 85)

وهذا يعبر عن رأي مجموعة من علماء المسلمين الذين لا يفرقون بين امتلاك هذا العلم بين النبي والأئمة عليهم السلام فهم يذهبون ((إلى تساوي علم النبي والإمام ـــــ وهم خلفاء الله ـــــ مع العلم الإلهي كماً وكيفاً من حيث الاطلاع على الغيب والفارق الوحيد فيما بينهما أن علم الله تعالى ذاتي وبالأصالة وعلم النبي والإمام غير ذاتي)) (نادم، 2017، صفحة 85)

ولكي نقترب من واقع هذا الخلاف ، وعرضه بصورة تفصيلية لابد من الإشارة إلى أنّ الأمر غير مقتصر على خلاف بين علماء الإمامية وغيرهم من علماء الملسمين إذ إنّ المدرسة الإمامية في داخلها اختلفت في هذه المسألة إذ انقسم متكلمو الإمامية في مسألة علم الإمام بالغيب على قسمين : (المفيد، 1993، صفحة 77) . قسم قيد علم الإمام ولم يطلقه ، وقسم آخر أطلقه ولم يقيده .

إلا أنّنا نلتمس اجماعاً في المدرسية الإمامية بخصوص امتلاك الأئمة للعلم الغيبي فقد ((أجمعت الطائفة الإمامية على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام يعلمان ـــــــ بإعلام الله وإطلاعه ـــــ الغيب، سواء في الأحكام ، أو في الموضوعات ، ويدخل في ذلك علمهم بأسباب موتهم والمصائب الجارية عليهم ، وما يرتبط بذلك من الزمان والمكان والفاعل علما تفصيلياً .)) (الجلالي،

1995، صفحة 98). ويبدو أنّ هذه التفاصيل ترتبط بمشروعهم الرسالي ، وأثرهم في تربية الأمة ، وتحقيق أهدافهم.

وهنالك مسألة أخرى تكمن في ضرورة أنْ يتميز الإمام المعصوم عليه السلام عن الآخرين فـــ((إنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق .)) (المظفر، 2000، صفحة 67)

وليس موضوع امتلاك الأئمة عليهم السلام للعلم الغيبي مصدر نقاش وجدال وحسب فهنالك مسألة أخرى انشغل بها العلماء ، وحاولوا تلمس إجابة وافية لها تلك المتعلقة بمصدر ذلك العلم ومن أين يصل إلى الإمام المعصوم عليه السلام ، فقيل : إنّ علم الأئمة علم حضوري ، ويراد به : ((ما كان موهوباً من العلام ، ومستفاضاً منه ، وهذا العلم اختص به الإمام من دون غيره من الأنام)) (الصدوق، 1991، صفحة 394/2). وهذه إشارة إلى أنّ المصدر هو الله عزّ وجلّ .

في حين كان كلام المظفر أكثر تفصيلاً ، وتحديداً لموارد هذا العلم ، فقال : ((أمّا علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه)) (المظفر، 2000، صفحة 67)

فيبدو أنّ المظفر اتجه اختار طريق الإلهام ليعلل امتلاك الأئمة لهذه العلوم ومقدار الحدس عندهم ، فقال : ((إنّ قوة الإلهام عند الإمام التي تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته ، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة ، فمتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الإلهامية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم)) (المظفر، 2000، صفحة 68)

ولعلّ التوسط في هذا الأمر هو الأقرب للواقع والأكثر تقبلاً إذ ((إنّ المقبول عقلاً ونقلاً عند متكلمي الشيعة وفلاسفتهم فيما يخص نطاق علم النبي والإمام بالغيب هو عدم الإفراط فيه والقول باتحاده مع العلم الإلهي لأننا حينئذ لابد من أنْ نلتجئ إلى تأويل ما ورد بخلافه ، وكذلك عدم التفريط فيه وانكاره ، حيث نضطر إلى حينئذ إلى تأويل ما يخالفه أيضاً والصحيح ما ذهب إليه الشيخ المفيد (

رحمه الله) وهو ترك الغلو والتقصير . وعليه نقول باعتماد أدلة العقل والنقل أن علم النبي والإمام فوق علم البشر ودون علوم الخالق)) (نادم، 2017، صفحة 85)

لكنّ ذلك لا يدفع باتجاه نفي فكرة امتلاك الأئمة عليهم السلام للعلم الغيبي فهذا يتقاطع مع وظيفتهم ومشروعهم .

فلسفة علم الإمام الغيب

إنّ العلم الغيبي الذي يكون له فلسفته التي تتناسب مع وظيفة الأئمة عليهم السلام فـــ((لا غرابة في أنّ الله تعالى يُكرم البيت عليهم السلام بعلم الغيب ، أو أنّهم يورثونه من النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنّهم ورثة النبي (صلى الله عليه وآله) بحسب معتقداتنا الثابتة ولهم ما له (صلى الله عليه وآله) إلا فيما ثبت اختصاصه (صلى الله عليه وآله) به (الموسوي ، ألكتروني) .

ومن المؤكد انّ امتلاك علم الغيب لم يكن من غير فلسفة خاصة يراد بها تحقيق أهداف معينة ، إذ إنّ العلم بالغيب لاشخاص دون غيرهم له فلسفة خاصة ويؤدي غرضاً مهماً ((فنبي الإسلام الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأئمة الحق ، كشفوا، بعلم الغيب ، الكثير من الأسرار الكامنة، وعلموا البشرية علوماً مختلفة ، وحولوا كثيراً من مجهولات البشر الفكرية والعقائدية والعلمية الى معرفة صحيحة ويقين ، وأوضحوا ماهية المستقبل والتفكير فيه ، وتحدثوا عن الماضي بالقدر الذي ينفع في نضج الإنسان وتكامله ، وفسروا القرآن ، كلام الله ، بما يلبي حاجات كل عصر وزمان ، وشرحوا المبادىء والخطوط العامة التي يحتاج اليها الانسان مع الإجابات الشافية لكل التساؤلات بوضوح ويسر.)) (شبكة المعارف الإسلامية)

وجزء من فلسفة أنْ يكون للأئمة علم غيبي هو الإسهام في نشر تعاليمهم وإيصال رسالتهم ((وينتفع بعلمه الإلهي في سبيل تربية شيعته على الانضباط ، باعتباره ضرورة قصوى في سائر حقول الحياة .) (شبكة المعارف الإسلامية)

وربما اقتضى الأمر الإعجاز لتأديب الشيعة وإبعادهم عن بعض الأمور التي اقتضت الحكمة أنْ يبتعدوا عنها . إذ ((إنّ الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ويعرفون ما يكون قبل كونه وليس ذلك واجباً في صفاتهم ، ولا شرطاً في إمامتهم ، وإنما

أكرمهم الله تعالى به ، وأعلمهم إياه للطف في طاعتهم والتمسك بإمامتهم)) (المفيد، 1993، صفحة 67)

المطلب الثالث : نماذج من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام في العلم بالغيب

وبعد هذا السرد الذي تضمنه الجانب النظري من هذا البحث ، محاولة عرض تفاصيل نشعر بضرورة بيانها ، ومناقشتها قبل الشروع بذكر الأحاديث التي تشير إلى وجود العلم الغيبي عند واحد من أئمة الهدى عليهم السلام ألا وهو الإمام موسى بن جعفر الكاظم سابع الأئمة عليهم السلام فهنالك مجموعة من الأحاديث أشارت صراحة امتلاك الإمام الكاظم (ع) للعلم الغيبي واطلاعه على قضايا لم يطلع عليها غيره وجاء ذلك في مواقف متعددة ، وكان لهذا الأمر أهمية كبيرة في سيرة الإمام عليه السلام بصورة خاصة والمجتمع الإسلامي الذي عاش فيه بصورة عامة ، ومن ذلك :

أولاً : علم الإمام الكاظم عليه السلام بآجال بعض أصحابه .

وردت بعض الأحاديث عن الإمام الكاظم عليه السلام تُفصح عن علمه بآجال بعض أصحابه أخبرهم بها قبل دنوها ، ومن ذلك ما ورد ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْكَاهِلِيِّ قَالَ حَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ لِي : اعْمَلْ خَيْراً فِي سَنَتِكَ هَذِهِ فَإِنَّ أَجَلَكَ قَدْ دَنَا قَالَ فَبَكَيْتُ فَقَالَ لِي فَمَا يُبْكِيكَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ نَعَيْتَ إِلَيَّ نَفْسِي قَالَ أَبْشِرْ فَإِنَّكَ مِنْ شِيعَتِنَا وَ أَنْتَ إِلَى خَيْرٍ قَالَ قَالَ أَخْطَلُ فَمَا لَبِثَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى مَات)) (المجلسي، 1987، صفحة 37/48)

جاء هذا الحديث في أكثر من مصدر من مصادر الحديث إذ ورد في الأصول الستة عشر (جمع من العلماء : 85) ، وحكم عليه بالصحيح أو كالصحيح إذ قيل فيه ((فالخبر صحيح لكونه وجها عنده عليه السلام أو حسنا كالصحيح لعدم التصريح به.)) (المجلسي، 1987، صفحة 177/14)

وقبل الولوج في شرح تفاصيل هذا الحديث ومضمونه لابد من فكّ معاني بعض الألفاظ الواردة فيه ونحسب أنّها من الوضوح الذي لا يحتاج إلى تعريفها إلا بعض الكلمات ، ومنها كلمة (نعيتَ) الواردة في قوله (نعيتَ إلي نفسي) إذ إنّ معناها : ((نَعَاهُ نَعْياً و نُعْيَاناً. و جاء نَعْيُه و نَعِيُّه: أي خَبَرُ مَوْتِه .)) (الصاحب، 1994، صفحة 167/2)

وقد تضمن هذا الحديث مجموعة من الحكم والقيم الاجتماعية أعلاها بيان منزلة الإمام عليه السلام ومعرفته بأشياء لم يطلع عليها غيره من أبناء مجتمعه ، وكان هذا يحض من يخبره بدنو أجله إلى ضرورة المبادرة إلى عمل الخير واستثمار هذه الأيام وهذا تلميح إلى سعة الرحمة الإلهية ووجود عنصر المغفرة في الثقافة الإسلامية ويتوج هذا الأمر بفكرة أنّ الارتحال إلى الله عزّ وجل ومغادرة

الحياة الدنيا لا يشكل قلقاً ولا يتخوف منه ما دام الانسان على خير ومنخرط في طريق الصالحين وهذه بشرى نقلها الإمام عليه السلام إلى من أخبره بدنو أجله فعلم الإمام (ع) في هذا الموضع حقق مجموعة من الثمار متمثلة في تثبيت قاعدة الأنصار وتربيتهم وغرس القيم الصالحة في نفوسهم وأهمها :

- **استثمار الوقت والاسراع إلى الاستغفار**
- **الاستعداد للموت .**
- **الركون إلى أهل الحق وعدم مناصرة أهل الباطل .**

ثانياً : العلم بما يجول في فكر أصحابه عليه السلام :

جزء من العلم الغيبي الذي استقر في علم الإمام الكاظم عليه السلام معرفته ببعض ما يجول في تفكير أصحابه من غير أنْ يطلعوه عليها ، ومبادرته بطريقة وأخرى للبيان عن معرفته بتلك الأمور ، واطلاعه على حديث نفس أصحابه من غير أنْ يبوحوا بها ، وجاءت مجموعة من الأحاديث الواردة عنه عليه السلام مصداقاً لهذا الأمر ، ومنها :

((الكافي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا كَتَبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْمَاضِي عليه السلام يَسْأَلُهُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الزُّجَاجِ قَالَ فَلَمَّا نَفَذَ كِتَابِي إِلَيْهِ تَفَكَّرْتُ وَ قُلْتُ هُوَ مِمَّا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ وَمَا كَانَ لِي أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ قَالَ فَكَتَبَ إِلَيَّ لَا تُصَلِّ عَلَى الزُّجَاجِ وَ إِنْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ أَنَّهُ مِمَّا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ وَ لَكِنَّهُ مِنَ الْمِلْحِ وَ الرَّمْلِ وَ هُمَا مَمْسُوخَانِ) (الكليني، 1987، صفحة 332/3)

وممن ذكر هذا الحديث الطوسي في تهذيب الأحكام (الطوسي، 1987، صفحة 302/2)، وذكره المجلسي في روضة المتقين (المجلسي، 1984، صفحة 179/2) . و ورو في بحار الأنوار. (المجلسي، 1987، صفحة 37/48)

وقيل في الحكم عليه إنّه (مرسل كالصحيح، بل صحيح على الظاهر.) (المجلسي، 1984، صفحة 442/4) وقال عنه في مرآة العقول (مرسل) (المجلسي، 1984، صفحة 150/15)

وخلاصة مضمون الحديث أنّ واحداً من أصحاب الإمام عليه السلام يرسل إليه كتاباً يتضمن سؤالاً في مسألة فقهية ثم يستدرك السائل ، ظنّاً منه أنّه يعرف الإجابة ولا داعي لإرسال السؤال فجاء ردّ الإمام مغايراً لتصور السؤال . فضلاً عن تضمن الإجابة إشارة إلى ما تحدثت به نفس السائل .

ولابد لنا من أنْ نبينَ معنى كلمة ممسوختان التي وردت في نص المعصوم عليه السلام ليسهم ذلك في شرح معناه واستخلاص القيم الأخلاقية والعقدية منها إذ ورد إنّ ((مَسَخَه، كمَنَعَهُ، يَمْسَخُه مَسْخاً حَوَّلَ

صُورَتَه إِلى صُورة أُخْرَى أَقبحَ منها ... و استعملوه في أَخْذ الشِّعْر و تَغييره من هَيْئَةٍ إِلى أُخْرى)) (الزبيدي، 1994، صفحة 312/4)

وقيل ((و فلان مَمْسُوخُ القلب، من الْمَسْخِ و هو قلب الحقيقة من شيء إلى شيء)) (الطريحي، 1997، صفحة 443/2)

ويقصد من الحديث بحسب ما ورد في كتب شروح الحديث ((أي خرجا بالاستحالة عن اسمها فيفهم من التعليل عدم جواز السجود على كل مستحيل) (المجلسي، 1987، صفحة 179/2) وبمعنى أوضح ((يعني حولت صورتاهما و لم يبقيا على صرافتهما)) (الفيض الكاشاني ، 1984، صفحة 737/8)

وقيل إنّ معنى قول الإمام عليه السلام ((هما ممسوخان أي: مستحيلان خارجان عن اسم الأرض، و يدل على عدم جواز السجود على الرمل، إلا أن يقال: إن الرمل مؤيد للمنع، و مناط التحريم الملح. أو يكون المراد أنهما استحيلا حتى صارا زجاجا، فلو كان أصله من الأرض أيضا لم يجز السجود عليه، و لعل السائل ظن أن المراد بما أنبتت الأرض كل ما حصل منها)) (المجلسي، 1987، صفحة 443/4)

ومع أهمية الإجابة الواردة عن الإمام عليه السلام ، ومعالجة الوهم الذي وقع فيه السائل إلا أنّ أمراً آخر في هذا الأمر وفائدة أخرى جنيت من هذا الحديث وهي المعرفة التي أفصح عنها الإمام بما فكر به السائل من دون أنْ يصرح به ، لذا نجد أنّ جملة من الفوائد تحققت من هذا الحديث تتلخص في الآتي :

1ــ توضيح حكم مسألة فقهية ترتبط بأداء فريضة الصلاة .
2ــ الإفصاح عن معرفة الإمام بما يجول في نفوس أصحابه .
3ــ تقويم التصورات المغلوطة وتصحيحها .

ثالثاً : علمه بأحداث لم تروَ إليه .

ومن تمثلات صور العلم الغيبي للإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، معرفته بأحداث لم تروَ له ، ولم يحدثه أحد بها ، وصرح بها من باب التحذير ، والتوعية ؛ ليكون شاهداً ونذيراً لأصحابه الذين يسعى الامام (ع) بكل الوسائل المتاحة إليه لتقويمهم ، وبنائهم بناءً أخلاقياً متيناً . وقد جاء هذا المضمون فيما ورد في : ((تفسير العياشي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى

عليه السلام قَاعِداً فَأُتِيَ بِامْرَأَةٍ قَدْ صَارَ وَجْهُهَا قَفَاهَا فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى فِي جَبِينِهَا وَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِنْ خَلْفِ ذَلِكَ ثُمَّ عَصَرَ وَجْهَهَا عَنِ الْيَمِينِ ثُمَّ قَالَ { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد : 11) فَرَجَعَ وَجْهُهَا فَقَالَ احْذَرِي أَنْ تَفْعَلِينَ كَمَا فَعَلْتِ قَالُوا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَ مَا فَعَلَتْ فَقَالَ ذَلِكَ مَسْتُورٌ إِلَّا أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ فَسَأَلُوهَا فَقَالَتْ كَانَتْ لِي ضَرَّةٌ فَقُمْتُ أُصَلِّي فَظَنَنْتُ أَنَّ زَوْجِي مَعَهَا فَالْتَفَتُّ إِلَيْهَا فَرَأَيْتُهَا قَاعِدَةً وَ لَيْسَ هُوَ مَعَهَا فَرَجَعَ وَجْهُهَا عَلَى مَا كَانَ)) (المجلسي، 1987، صفحة 39/48)

وفي مضمون الرواية عنصران : المعرفة الغيبية التي أفصح عنها الأمام وعنصرآخر يجسد قيمة أخلاقية ترتبط بحسن الظن، وعدم إساءة الظن بالآخرين . علاوة على أنّها أقرت مبداً جوهره أنّ الأخلاق الحسنة تنعكس على صلاح الانسان ومسيرته وخلاف ذلك مؤد إلى سوء عاقبة المرء في حياته الاجتماعية .

ولإدراك المعاني التي أشار إليها النص الشريف لابدّ لنا بيان معاني بعض الكلمات الواردة فيه التي تحتاج الى التوضيح والتفسير ، ومنها القفا إذ قيل عنها : ((و (القَفَا) مَقصُورٌ مُؤَخَّرُ العُنُق)) (الفيومي، 1994، صفحة 512/2). ومن الألفاظ الأخرى التي تضمنها النص الشريف ونروم بيان معناه هو الضرة ((و الضَّرَّتانِ: زَوْجَتاكَ، و كلّ واحدةٍ منهما ضَرَّةٌ للأُخْرَى، و هُنَّ ضَرائِر ... و الاسمُ الضِّرُّ، بالكسر، و يقال تَزَوَّجَ على ضِرٍّ و ضُرٍّ «3»، بالكسر و الضّمّ، حكاهما أَبو عبد اللَّه الطُّوالُ أَي مُضَارَّةٍ بين امرأَتَيْنِ أَو ثَلاثٍ.)) (الزبيدي، 1994، صفحة 125/7)

وجاء في لسان العرب في المعنى ذاته ((ضَرَّةُ المَرْأَةِ: امرأَةُ زَوْجِها. و الضَّرَّتان: امرأَتا الرجُلِ، كلُّ واحدَةٍ منهما ضَرَّةٌ لصاحِبَتِها، و هو من ذلك، و هُنَّ الضرائِر)) (ابن منظور، 1994، صفحة 486/4)

وخلاصة مضمون الحديث إنّ امرأة ظنّت سوءاً بضرتها فأصابها ضرر في جسدها ، ويبدو أنّ ما أصابها مثل عقوبة دنيوية لفعلتها وقد قدمت إلى الإمام الكاظم عليه السلام لمساعدتها وقد بادر إلى ذلك في الوقت ذاته نصحها بعدم اقتراف ما صنعته لكي لا يصيبها مثل هذا الضرر مرة أخرى من غير أن يفصح عن تفاصيل صنيعها على الرغم من طلب القريبين منه ذلك مبيّنا أنّ ذلك مستور إلا إذا أرادت هي الحديث عنه .

ويتضح لنا بعد هذا العرض جملة مما يرشد إليه الحديث على النحو الآتي :

1ــ النهي عن سوء الظن بالآخرين .

2ــ ان اخلاق الانسان وسلوكه مع الآخرين سبب في ما يصيبه من خير أو شر .

3ــ عدم إشاعة خصوصية الآخرين والبوح بتفاصيل لم يطلع عليها الناس إلا بعد موافقتهم

ومن النصوص التي عبرت عن هذا المضمون ، وأشارت إلى معرفة الإمام الكاظم عليه السلام ببعض الأحداث التي لم يروها أصحابه إليه ما ورد عن

((مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ الْوَاسِطِيِّ عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ قَالَ دَفَعَ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ الْأَوَّلُ عليه السلام رُقْعَةً فِيهَا حَوَائِجُ وَ قَالَ لِي اعْمَلْ بِمَا فِيهَا فَوَضَعْتُهَا تَحْتَ الْمُصَلَّى وَ تَوَانَيْتُ عَنْهَا فَمَرَرْتُ فَإِذَا الرُّقْعَةُ فِي يَدِهِ فَسَأَلَنِي عَنِ الرُّقْعَةِ فَقُلْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ يَا مُوسَى إِذَا أَمَرْتُكَ بِالشَّيْءِ فَاعْمَلْهُ وَ إِلَّا غَضِبْتُ عَلَيْكَ فَعَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي دَفَعَهَا إِلَيْهِ بَعْضُ صِبْيَانِ الْجِنِ (المجلسي، 1984، صفحة 44/48) ولبيان المراد من هذا الحديث لابد من الإشارة إلى معنى الرقعة فقد ورد تعريفها في المعجمات بأنها قطعة يكتب عليها إذ قال الزبيدي . ((الرُّقْعَةُ، بالضَّمِّ: الَّتِي تُكْتَبُ. والرُّقْعَةُ أَيْضاً: ما يُرْقَعُ به الثَّوْبُ، ج : رِقَاعٌ، بالكَسْرِ، و منه الحَدِيثُ: (يَجِيءُ أَحَدُكُم يومَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِه رِقَاعٌ تَخْفِقُ) أَرادَ بالرِّقاعِ: ما عَلَيْه من الحُقُوقِ المَكْتُوبَة)) (الزبيدي، 1994، صفحة 172/11)

يبدو أنّ الإمام عليه السلام كتب مجموعة من التوصيات على رقعة ودفعها إلى بعض أصحابه ، وبعد مدة من الزمن سأله عن تلك الرقعة التي توانى صاحبها عن أداء ما ورد فيها . ويُفهم أنّ السؤال لم يكن لجهل الإمام عليه السلام بما آلت إليه . إذ يتضح أنّه سؤال استنكاري أراد الإمام عليه السلام توبيخ صاحبه لأنّه يدرك أنّه توانى عنه على الرغم من أنّ صاحبه لم يبلغه بذلك فمع التركيز على الفكرة العامة التي نناقشها في هذا البحث وهي اطلاع الإمام على بعض القضايا التي لم يخبرها أصحابه بها إلا أنّ هذا الأمر لم يأت لتأكيد هذا الموضوع فحسب بل تعداه ليكون وسيلة لتجسيد مجموعة من القيم الأخلاقية في المجتمع .

وفي مضمون هذا الحديث جملة من القيم الأخلاقية التي يعبر عنها تتمثل بالآتي .

1ــ أهمية السعي في قضاء حوائج الناس وتسخير المواقع التي يكلف بها المرء لخدمة أبناء مجتمعه

2ــ التناصح فيما بيننا للوقوف على حوائج أخواننا والسعي في قضائها

3ــ عدم التواني في خدمة أبناء المجتمع ، وعدم الانشغال عنهم .

4ــ مرحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تقف عند حدود التوجيه فقط بل تتعداها إلى المتابعة حتى يتحقق المراد .

الخاتمة :

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث لابد من بيان اهم النتائج التي توصل إليها الباحث إذ إنّ المرور بمحاوره أفضت إلى أنّ العلم الغيبي الخاص بالله عزّ و جلّ مختص به ولم يصل إليه أحد ، إلا أنّ الباري عزّ وجل وهب الأنبياء والرسل عليهم السلام جزءاً من هذا العلم يتناسب مع وظيفتهم ويسهم في تحقيق أهدافهم وهذا ما لم يختلف عليه علماء الأمة الإسلامية إلاّ أنّ الخلاف وقع في معرفة الأئمة عليهم السلام العلم الغيبي من عدمه وتبنت المدرسة الإمامية فكرة امتلاكهم له إلا أنّ الخلاف وقع في مصدر هذا العلم ونوعه وقيل في هذا الأمر كلام طويل مفصل ملخصه أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون الغيب عن طريق النبي صلى الله عليه وآله فضلاً عن أنّ منزلتهم أسهمت في امتلاكهم الإلهام الذي يكشف لهم بعض الأشياء التي لم يطلع عليها غيرهم ومؤكد أنّ امتلاكهم لهذا العلم وظف في خدمة مسيرتهم والدور الرسالي الذي كلفوا به ، وكان له أثر واضح في بناء قاعدتهم ، ونشر القيم والأخلاق النبيلة في المجتمع .

المصادر

ابن حنبل، احمد . (1979). *مسند أحمد بن حنبل* . القاهرة : دار الفكر.

ابن فارس، أحمد . (1979). معجم *مقاييس اللغة*. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) بيروت: دار الفكر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1994). *لسان العرب* (المجلد 3). بيروت: دار صادر.

الأصفهانى، أبو القاسم الحسين الراغب. (1992). *المفردات في غريب القرآن* (المجلد 1). بيروت: دار القلم.

الجرجاني، علي بن محمد. (1983). *التعريفات* (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجلالي، السيد محمد رضا. (1995). علم الأئمة بالغيب والاعتراض عليه بالإلقاء إلى التهلكة والإجابات عنه عبر التاريخ . *مجلة تراثنا*(العدد 37).

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1994). *تاج العروس من جواهر القاموس* (المجلد 1). بيروت : دار الفكر.

الشريف الرضي، محمد بن حسين. (1994). *نهج البلاغة* (المجلد 1). ايران: مؤسسة الرافد للمطبوعات.

شبكة المعارف الإسلامية . (بلا تاريخ). doi: www.almaaref.org

الشيرازي، ناصر مكارم. (1990). *الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل* (المجلد 1). بيروت: مؤسسة البعثة.

الصاحب، إسماعيل بن عباد. (1994). *المحيط في اللغة* (المجلد 1). بيروت: عالم الكتب.

الصدوق، ابن بابويه القمي. (1991). *كمال الدين وإتمام النعمة* . بيروت : مؤسسة الأعلمي.

الطريحي، فخر الدين بن محمد. (1997). *مجمع البحرين* (المجلد 3). طهران.

الطوسي، محمد بن الحسن. (1987). *تهذيب الأحكام* (المجلد 4). طهران: دار الكتب الإسلامية.

الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى . (1984). *الوافي* . أصفهان : مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الفيومي، أحمد بن محمد. (1994). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* . قم: مؤسسة دار الهجرة.

الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق. (1987). *الكافي* (المجلد 4). طهران : دار الكتب الإسلامية.

المجلسي، محمد باقر بن محمد. (1984). *روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه*. قم: مؤسسة كوشانبور للثقافة الإسلامية.

المجلسي، محمد باقر بن محمد. (1987). *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار* . بيروت : دار إحياء التراث العربي .

المظفر، محمد رضا. (2000). *عقائد الإمامية* . بيروت : دار الهادي.

المفضل، ابن عمر. (2016). *توحيد المفضل* (المجلد 3). المطبعة الحيدرية.

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان. (1993). *الأمالي* (المجلد 1). قم: مؤتمر الشيخ المفيد.

مؤلفو وزارة الأوقاف السعودية. (بلا تاريخ). *العقيدة* . السعودية .

نادم، محمد حسن. (2017). *علم النبي والإمام بالغيب من منظار المتكلمين والفلاسفة* . (هاشم مرتضى، المترجمون) العدد العاشر ، ذو القعدة الحرام .